الفصل الأول

تعاريف الشخصية

مقدمة :

يرمى علم النفس العام إلى دراسة ظواهر الحياة العقلية وأنواع السلوك المختلفة . ويتبع فى ذلك الطرق والأساليب التى تساعده على معرفة الصفات النفسية التى يصح إرجاعها إلى قواعد أو قوانين عامة ، شأنه فى ذلك شأن أى علم من العلوم . ولكن مهما توصلنا إلى كشف تلك الصفات المشتركة ، وخصائص السلوك العامة للعقل ، فإنه لا تزال أمامنا ظاهرة هامة هى : صفة الانفرادية ، تلك الظاهرة التى يتميز بها كل كائن حى عن سواه من الكائنات ، والتى تجعل منه وحدة مستقلة مختلفة عن باقى الأفراد من أبناء جنسه رغم ما يوجد بينهم من تشابه واتفاق . فكل إنسان من حيث كونه ظاهرة وحيدة متميزة لا تتكرر أبداً على طول الزمن ، ومن حيث كونه لا يوجد من يشبهه شبهاً كاملا فى أى مكان ، يعتبر مهملا من هذه الناحية ، وبعيداً عن مجال البحث العلمى الذى يجعل مهمته استخلاص القواعد العامة ، والذى

تتضاءل أمامه أهمية تلك الظاهرة الانفرادية الهامة .

وقد أدى إهمال هذه الفردية فى علم النفس إلى اتهامه بالقصور إذ أنه — كما قلنا — يضع القواعد التى تطبق على العقل والسلوك بصفة عامة دون أن يأخذ فى الاعتبار تلك التفاصيل الدقيقة التى تميز كل فرد عن غيره تميزاً تاما . وقد يوجه هذا الكلام لكل العلوم التى تنهج هذا النهج فى البحث العلمى ، ولكن علم النفس أكثر تعرضاً لهذا القصور ؛ لأن موضوعه هو الكائن الحى وخصوصاً الإنسان الذى تظهر فيه ظاهرة الانفرادية بوضوح وجلاء . وقد فطن لهذه الحقيقة عالم النفس الألمانى فونت (Wundt) مؤسس علم النفس التجريبى ، والذى يعتبر من قادة علم النفس الفردى أيضا حيث قال :

« ليس فى علم النفس قانون إلا رأينا فيه أن الحالات التى تشذ عن القانون أكثر عدداً من الحالات التى ينطبق عليها » .

ومن أجل ذلك نجد أن كثيراً من الاتجاهات فى علم النفس قد تركزت فى بحث الفروق الفردية ، وأصبحنا نجد لعلم النفس فروعا تهتم بها مثل « علم نفس الفروق الفردية » ، و « علم النفس الفردي » و « علم النفس التحليلى » . كما نجد أيضاً فروعا تهتم بالصفات الطائفية وأنواع السلوك المختلفة ، وأنواع الشخصيات ، كالفروع التى تهتم بالشواذ ، والتى تهتم بفكرة الشخصية كوحدة

من وحدات الحياة العقلية، وهذا مايسمى «سيكلوجية الشخصية».

إذن فدراسة الشخصية يقصد بها الاهتمام بتلك الصفات الخاصة بكل فرد، والتى تجعل منه وحدة متميزة مختلفة عن غيره من حيث العوامل المختلفة التى تفاعلت مع بعضها فأدت إلى هذا الأسلوب الخاص من السلوك، وهذا الطابع الذى لا يشترك فيه اثنان إشتراكا كاملا من كل ناحية.

ولما كانت مثل هذه الدراسة لا تتم إلا بتتبع الحالات الفردية ودراسة كل حالة على حدة، كان للأبحاث الإكلينيكية فى العيادات السيكلوجية المختلفة أهمية كبرى فى دراسة موضوع الشخصية.

غير أنه لا يمكن لأى باحث أن يحيط علماً بعقلية كل فرد على حدة، ولا تزال مهمتنا فى البحث هى أن نجمع بين ميزات القواعد العامة، و بين ما يمكن استفادته من الحالات الخاصة.

و إذا كان علم النفس العام يرمى إلى دراسة العوامل العامة، والصفات المشتركة بوجه عام، وعلم النفس الفردى يرمى إلى دراسة الحالات الخاصة من ناحية التفاصيل، والصفات المميزة الخاصة بكل حالة على حدة، فإن من الممكن أن نجمع بين الاثنين بالالتجاء إلى علم النفس الإحصائى ليساعدنا فى تصنيف الصفات

المختلفة ، المشتركة منها والخاصة ، كما فى طريقة التحليل العاملى التى تحاول التصنيف بالوصول إلى :

الصفات العامة ، والصفات الطائفية ، والصفات النوعية .

فالصفات العامة هى التى يشترك فيها الجميع — والصفات الطائفية هى التى يشترك فيها طائفة من الناس — والصفات النوعية هى التى لا يشترك فيها أحد . . والواقع أن الذى يميز شخصية عن الأخرى هو مبلغ ما فيها من كل هذه الصفات .

تعاريف الشخصية

قبل أن نحاول دراسة الشخصية ينبغى أن نحاول تحديد المعنى العلمى لهذه الكلمة وخصوصاً أن استعمالها فى الأحاديث العادية من المرونة بحيث يحتمل أكثر من معنى واحد .

وحين نتتبع محاولات علماء النفس لتعريف هذه الكلمة ، نجد أن كلا منهم كان ينظر إلى الشخصية من زاوية خاصة . وسنورد فيما يلى بعض الخطوات التى تطور فيها معنى هذه الكلمة ، وهى فى جملتها تتبع مراحل تطور علم النفس ، وأساليب البحث فيه

الشخصية كمظهر خارجي :

الأصـــل فى كلمة (Personality) أنها مشتقة من لفظ لاتينى (Persona) ومعناه القناع ، أو الوجه المستعار ، الذى يظهر به الشخص أمام الغير ، وكان استعمال هذا اللفظ مرتبطا بالتمثيل المسرحى ، حيث يبدو الشخص للغير عن طريق ما يأتيه من حديث وحركات ظاهرية . ولهـذا فإن تعاريف الشخصية قامت فى البداية على فـكرة التمثيل ، وما يبدو على الفرد من الصفات الظاهرية بصرف النظر عما يخفيه فى نفسه من صفات داخلية . ويرتبط بهذه الفـكرة ، تعريف الشخصية بالقدرة على التأثير فى الغير ، أو الأثر الذى يتركه الشخص فيمن حوله ، وما يرتبط بذلك مما قد يكون لدى الفرد من هيبة ووقار ، وكبرياء ، أو تواضع وخضوع واستسلام .

ولـكن هذه التعاريف لا توضح لنا شيئا عن الصـــفات الداخلية الحقيقية فى الشخص . إذ أن الفرد يمكن أن يعتبر عددا من الشخصيات وهى : الشخص كما يراه غيره ، والشخص كما يرى نفسه ، والشخص على حقيقته . وطبيعى أن تعريف الشخصية السابق غير شامل ؛ لأنه يهمل النوعين الأخيرين ويهتم فقط بالشخص كما يراه غيره .

obeikandl.com

الشخصية كقوة مركزية داخلية :

وعلى النقيض من ذلك تماما نجد فكرة النظر إلى الشخصية من ناحية كونها تركيبا نفسيا معقدا ، غير ممكن تحليله أو فهمه ، أو كونها قوة مركزية داخلية توجه الفرد فى حركاته وسكناته . وطبيعى أن مثل هذه النظرة لا تفيدنا كثيرا ، ولا تقدم ولا تؤخر فى فهم طبيعة النفس ؛ إذ أنها تترك باب البحث والدرس مغلقا أمام فهم عناصر الشخصية ومكوناتها .

ويرتبط بذلك أيضاً التعاريف التى تهتم بفكرة المرء عن نفسه ، وتحليله لما هو عليه ، ومعرفة صفاته النفسية الداخلية ، ويتمشى هذا مع طريقة التأمل الباطنى وهى إحدى طرق البحث الهامة فى علم النفس — كما كان التعريف السابق متمشيا مع طريقة الملاحظة الخارجية — وهذا النوع من التعاريف يعتبر ناقصا كسابقه ؛ إذ أنه يهتم فقط بمظهر واحد من الشخصية ، وهو الشخص كما يرى نفسه .

التعريف الاجتماعى :

وانتقل التعريف خطوة مفيدة عندما اتجه إلى الاهتمام بالإشارة إلى تعامل الفرد مع المجتمع ، فأصبح التعريف يتضمن شعور الفرد بقيمته فى المجتمع ، ومبلغ أهميته فيه ومدى معرفة

الفرد لحقوقه وواجباته . وهذه الصبغة الاجتماعية فى تعريف الشخصية بجانب فكرة المرء عن نفســـه ، ترتبط بمبلغ حاجة المجتمع إلى الفرد ، وهل هو مطلوب أو يمكن الاســـتغناء عنه ؟ وهل هو مهم أو لا أثر له ؟ وهكذا .

وقد ظهرت هذه النزعة فى تعريفى البرت (F. H. Allport) ، وماى (M. A. May) حيث يؤكدان فكرة تعامل الفرد مع المجتمع وقيمته من حيث تأثيره فى المجتمع ، وتأثر المجتمع به . وينظرون إلى الفرد كعامل فعال فى المجتمع ، وتقاس شخصيته بمبلغ اشتراكه فى نواحى النشاط المختلفة التى تؤدى إلى إحداث التغير والتطور فى هذا المجتمع .

الشخصية كمجموعة من الصفات :

إلى هنا كانت التعاريف فى جملتها وصفية عامة وليس لها فائدة إيجابية مباشرة لتوجيه البحث فى الشخصية . أما التعاريف القادمة التى تقوم على تحليل الصفات ومحاولة تجميعها فهى التى تلقى الضوء على عناصر الشخصية وتفيدنا من الناحية الدراسية فائدة مباشرة . ومن أمثلة ذلك تعريف مورتن برنس (Morton Prince) الذى يقول إن الشخصية « هى حاصل جمع كل الاستعدادات والميول والغرائز والدوافع والقوى البيولوجية الفطرية الموروثة ، وكذلك

الصفات والاستعدادات والميول المكتسبة من الخبرة » .

وهناك تعاريف كثيرة من هذا النوع تبدأ كلها بفكرة مجموع أو حاصل جمع الصفات الداخلية والخارجية الموروثة والمكتسبة ، أو مجموع الصفات العقلية والجسمية والاجتماعية وهكذا .

ولكن هذه التعاريف القائمة على مجرد تعداد الصفات ، والتي تنظر إلى حاصل جمعها فقط تحمل في طياتها خطر اعتبار هذه الصفات وحدات منعزلة بعضها عن البعض ، أو أن كل عنصر منها وحدة قائمة بذاته . . ولكن الواقع خلاف ذلك تماما ، فالنظرة الحديثة للشخصية تعتبرها وحدة أو تنظيم كلي عام . إذ أن الكائن الحي أكثر من مجرد مجموع صفاته . . وكل صفة من صفاته لا يكون لها معنى إلا في وجود باقي الصفات . والفرق بين النظرتين يوازي الفرق بين المخلوط والمركب في الكيمياء ؛ فالمخلوط يمكن فصل مكوناته عن بعضها بسهولة ، وصفاته هي مجرد مجموع صفات العناصر الداخلة في تركيبه . . بينما المركب الكيمائي ينتج لنا مادة جديدة لها خصائصها التي تخالف صفات مركباتها بمفردها

ولهذا استفادت التعاريف الجديدة من هذه الفكرة فأكدت أهمية التكامل ، ولذا أصبحت تبدأ بكون الشخصية عبارة عن تكوين عام أو تكامل منتظم لمجموعة صفات . . أو تركيب كلي . . أو وحدة . . . وهكذا .

التعاريف القائمة على فكرة التكامل والتفاعل الاجتماعى :

ثم أضيف إلى التعاريف ذلك العنصر الاجتماعي الذى يظهر فى تكييف الفرد لنفسه فى المجتمع وتعامله مع البيئة ومبلغ اندماجه فيها ، ومن أمثلة هذه التعاريف ما قاله كمف (Kempf) وهو أن « الشخصية هى تكامل مجموعات العادات التى تمثل خصائص الفرد فى تعامله مع المجتمع » .

وأخيراً نجد فكرة التميز أو الانفرادية تتخذ مكاناً بارزاً فى التعاريف كما فى تعريف شن (Schoen) حيث يقول :

« الشخصية هى التكوين المنتظم أو الوحدة العامة الناتجة من العادات والاستعدادات والعواطف التى تميز فرداً عن المجموع وتجعل منه وحدة مختلفة عن باقى وحدات المجموعة التى ينتمى إليها »

التعاريف الوافية للشخصية :

و إذا كانت التعاريف السابقة جميعها حتى الآن تهتم ببعض عناصر التعريف وتهمل البعض الآخر ، فمنها ما يهمل صفة التكيف الاجتماعى ومنها ما يهمل صفة التميز أو الانفرادية ، فإن التعاريف الحديثة التى يؤخذ بها الآن تقوم على جمع الخطوات السابقة والاستفادة من جميع التعاريف بحيث نجدها وافية شاملة . ومن أمثلة ذلك تعريف أولبرت (G. H. Allport) القائل بأن :

« الشخصية هى التنظيم الديناميكى فى نفس الفرد لتلك الاستعدادات الجسمية النفسية التى تحدد طريقته الخاصة للتكيف مع البيئة » .

وهذا لا يختلف كثيراً عن تعريف بيرت (Burt) القائل بأن : « الشخصية هى ذلك النظام الكامل من الميول والاستعدادات الجسمية والعقلية ، الثابتة نسبياً ، التى تعتبر تميزاً خاصاً للفرد ، وبمقتضاها يتحدد أسلوبه الخاص للتكيف مع البيئة المادية والاجتماعية » . ويتضح من التعريفين السابقين ما يأتى : —

أولا : أن تعريف « أولبرت » يشير إلى فكرة الديناميكية فى الشخصية إشارة على التفاعل المستمر بين عناصرها . . كما أن تعريف « بيرت » يشير إلى فكرة « الثبات نسبياً » أى أهمية عناصر الشخصية التى لا تتغير كثيراً على طول الزمن ، فهذه هى الصفات التى يصح الاستناد عليها فى الحكم على الشخصية ، مثل هيئة الجسم والذكاء العام والصفات الموروثة أو المكتسبة التى لها صفة الدوام نسبياً .

ثانياً : كل من التعريفين يؤكد فكرة التكامل وكون الشخصية ليست مجرد مجموع الصفات ، وإنما وحدة الناتج منها ، فهى أكثر من مجرد حاصل الجمع .

ثالثاً : بعض الصفات الداخلة فى تكوين الشخصية بيولوجية

جسمية مثل لون الشعر وقوة الجسم والتركيب الغددى والعضلى .. وهكذا ، و بعضها صفات عقلية مثل الذكاء والانفعال والمزاج .

رابعاً : لم يهمل التعريفان أهمية البيئة وأثر الصفات فى تكييف الفرد وتفاعله معها ، ولذا لا يمكن دراسة الفرد منعزلا عن المجموع الذى يحيط به كما يتضح من إشارة « بيرت » إلى أهمية التكيف نحو البيئة المادية والبيئة الاجتماعية .

خامساً : يظهر فى كل من التعريفين فكرة التميز التى تجعل كل فرد مختلفا عن غيره بحيث لايوجد اثنان متشابهان تشابها تاما . وهذا التميز هو فى نظر « أولبرت » الأساس الهام لمعنى الشخصية .

ومن كل ما سبق يمكن أن تدرك ما يأتى :

أولا : أن الشخصية وحدة ويجب دراستها كتنظيم كلى عام أو جشتالت (Gestalt) .

ثانياً : أنه إذا جاز لنا تحليل عواملها فإنما يكون ذلك بقصد التصنيف والدراسة فقط ، على أن نضع فى أذهاننا دائما فكرة اندماج العناصر وتفاعلها المستمر مع بعضها .

مراجع :

1. G. W. Allport : Personality ; A Psychological Interpretation.

2. L. P. Thorpe : Psychological Foundations of Personality

3. Sir Cyril Burt : The Assessment of Personality : The Egyptian Journal of Psychology.
Vol. I. Oct. 1946. No. 2.

(ولهذا البحث ترجمة باللغة العربية بمجلة « علم النفس » مجلد ٣) .

obeikandl.com